المحاضرة العاشرة : التدريس في ضوء المقاربات:

تمهيد:تستند الممارسات التربوية و عمليات التدريس المختلفة إلى مقاربات بيداغوجية تؤطّرها و تحدّد مرجعياتها الفلسفية و التربوية التي تؤسّس لوجودها و توجّهها،إذ تعدّ المقاربة البيداغوجية موجّها ينظم الوضعيات التعليمية التعلّمية من أجل بلوغ غايات مسطرة، و قد تعدّدت هذه المقاربات التي تبنّتها المنظومة التربوية الجزائرية لتتناسب مع الوضعية التعليمية و الأهداف المرسومة و الخلفية الإبستيمولوجية لها.

**1- التدريس و مكوّناته: يشهد** مصطلح التدريس اضطرابا كبيرًا في تحديد كهنه وحدوده إلى أن صار في العقود الأخيرة علمًا له أسسه العلمية، ونظرياته التربوية والنفسية ليقدّم للعملية التعليمية أسباب النجاح والنجاعة، فالتدريس في أحد زواياه نظام متكامل من العلاقات والتفاعلات له مدخلاته( Inputs )، عملياته( Processes ) ومخرجاته( Outputs ) المتمثّلة أساسًا في:

**أ- مدخلات التدريس( معطياته ):** ثلاثة أنواع هي:

**1- المدخلات البشرية:** وتضمّ كلّا من المعلّم والمتعلّمين.

**2- المدخلات البيئية:** المحيطة والمهّيئة لعملية التدريس، وتتمثّل في "الخصائص الحسية والمادية للغرفة الدراسية، المواد والتجهيزات والوسائل التعليمية، فراغ الغرفة وكيفية تنظيمها للتعلّم والتعليم، والوقت المتوافر لذلك"

**3- المدخلات الخاصة بمحتوى التدريس**: وتشمل الموضوعات الّتي يغطّيها المحتوى المدرّس، وأهدافه ومكوّناته من حقائق ومفاهيم ومعلومات...

**ب- عمليات التدريس( خطواته ):** وهي مجموع العمليات الّتي تتناول مدخلات التدريس بالمعالجة والتحويل، بغرض تحقيق أهدافه للحصول على المخرجات المتوقّعة،وتتمثّل أساسًا في "التدريس بأهدافه واستراتيجياته، أساليبه وطرائقه وتحضير البيئة الصفية والتنفيذ وبأساليب التقويم" . وتشتغل هذه العمليات ضمن الخطوات التالية:

**1- عملية التصميم( التخطيط ):** ويتمّ بمقتضاها تنظيم مدخلات التدريس في صورة خطة تدريسية.

**2- عملية التنفيذ:** في هذه المرحلة يتمّ تطبيق الخطة الّتي رسمت في المرحلة السابقة.

**3- عملية التقويم:** ويتمّ فيها الحكم على مدى تحقيق التدريس لأهدافه الّتي سطّرت في مرحلة التصميم، أي يتم فيها الحكم على نجاعته وكفاءته، ويتحقّق ذلك إجرائيا من خلال تقويم تحصيل المتعلّمين لأهداف التعلّم، وتحديد الصعوبات الّتي ظهرت أثناء عملية التدريس.

**د-مخرجات التدريس:** وتتمثّل في "التغيّرات المطلوبة في المجال الإدراكي( المعرفي )، العاطفي، والحركي المهاري لدى المتعلّمين.

**2- المقاربة و البيداغوجيا أي علاقة؟**

 ظهرت كلمة بيداغوجيا في الاستعمال التربوي الأوروبي عام 1495، لتدلّ على كلّ ما له ارتباط بالعلاقة القائمة بين المعلّم والمتعلّم، فالبيداغوجيا في بعدها النظري تهتم بدراسة الظواهر التربوية والمناهج والتقنيات بهدف الرّفع من نجاعة وفعالية الفعل البيداغوجي، أمّا على المستوى التطبيقي فتشتغل على مختلف الممارسات والتفاعلات الّتي تتمّ داخل المدرسة بين المعلّم والمتعلّم.

 و المقاربة البيداغوجية هي النظريات والمفاهيم الخاصة بتعليم الناس وتعلمهم. وهي تشمل الاستراتيجيات والأساليب والمناهج والتقنيات التي تستخدم لضمان فهم الطلاب للمواد الدراسية وتحفيزهم لتحقيق النجاح،

 تتميز المقاربات البيداغوجية بالتنوع والتعدد، إذ يوجد عدة مقاربات ونظريات مختلفة لتعليم الناس وتعلمهم، وتم تطوير هذه المقاربات عبر الزمن حسب الاحتياجات المختلفة والمتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية

3- تعريف المقاربة الديداكتيكية: **( Approche ):** وهي تصوّر وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز على ضوء خطة أو إستراتيجية تأخذ في الحسبان كل العوامل المتدخّلة في تحقيق الأداء الفعّال، والمردود المناسب من طرائق ووسائل ومكان وزمان، وخصائص المتعلّم والوسط التربوي، وكذا النظريات البيداغوجية، فهي بهذا المفهوم القاعدة النظرية المكوّنة من مبادئ تؤسس لإعداد البرامج الدراسية واستراتيجيات التعليم، وآليات التقويم في الفعل التربوي.

 أي الإطار المرجعي الناظم لممارسات التعليم و أنشطة التعلّم وفق أهداف محدّدة ، و تشكّل الخيار التربوي المؤسساتي لتنفيذ و أجرأة المناهج و البرامج التعليمية.

 تتكوّن المقاربة التعليمية من مجموعة من العناصر المنسجمة و تشكل عملية التواصل التعليمي من المحتوى و المعلم و المتعلّم،و يحدّد التركيز على أي عنصر من هذه العناصر طبيعة المقاربة المنتهجة ،إذ تركّز المقاربة بالمضامين مثلا على عنصر المحتوى كركيزة أساسية لعملية التعلّم، بينما تستند المقاربة بالأهداف على عنصر المعلّم، وصار المتعلّم مركز العملية التعليمية في ضوء المقاربة بالكفايات.

4- المقاربات المطبقة في النظام التربوي الجزائري:

**أ- المقاربة بالمحتويات:** كانت المقاربة بالمضامين أولى المقاربات الديداكتيكية التي اعتمدت إلى عهد بعيد نسبيا، و قد قامت على أساس المواد التعليمية التي يتمّ انتقاؤها من محتويات و مضامين مبثوثة في الكتب، فيتمّ تحويلها إلى عناصر و معارف تلقّن للمتعلّم، فهذا المتعلم ما هو إلا خزان فارغ و بالتالي فهو مستقبل سلبي للمعارف التي لا يشارك في بنائها و تطبيقها، إذن تركزت هذه المقاربة على تصور نظري، يغلب عليه الطّابع التّجريدي الخيالي

تعتمد هذه المقاربة أساسا على تنمية العقل وصقله وترتيبه، بتكديس المعارف النّظرية، مع الاقتران بالتّعليم الموسوعي (الحشو) والاهتمام أساسا بإيصال المعلومات، مع نقص الاهتمام بالمواقف والقدرات، وإهمال منطق التّعلّم، والمعلّم وحده يمثّل السلطة والمرجع الوحيد للمعرفة. وباختصار، إنهذه المقاربة تقوم على أساس المحتويات، فالنّمط البيداغوجي فيها تقليدي، حيث أن المعلّم يستعمل كلّ طاقاته المعرفية لتبليغها إلى المتعلّمين، ويطالبهم بعد ذلك بحفظها واستظهارها، فنجده يشرح الدرس، وينظّم المسار، وينجز المذكّرات، فالمعلّم هو مالك المعرفة، أما التّلميذ في هذه الحالة ليس مطالبا بالمشاركة في تسيير الدرس، بل هو متلقّ، يستمع ويحفظ، فوظيفته تقتصر على: اكتساب المعرفة كمقررات جاهزة كما ونوعا و استحضار المعرفة يوم الامتحان.

**ب- المقاربة بالأهداف:** برزت كردّ فعل عن المقاربة بالمضامين حيث انتقل فيها التفكير من التعليم التلقيني إلى فكرة التعلّم ، فأصبح الفعل التربوي فعلا تشاركيا بين المعلّم و متعلّميه، و يقوم - في ضوء الأهداف- على تصوّر قبلي لأهداف تعليمية تصاغ إجرائيا على شكل سلوكات قابلة للتقويم، حيث يضطلع المعلّم بمهمّة تشخيص الحاجات التعليمية و الوضعيات الديداكتيكية ثمّ تحديد الأهداف بمعيّة هذا المتعلّم، الذي تحوّل من متلق سلبي للمعارف إلى مساهم . إنّها مقاربة بيداغوجية تربوية تشتغل على المحتويات التعليمية في ضوء مجموعة من الأهداف التعليمية ذات الطبيعة السلوكية سواء كانت أهدافا عامة أم خاصة أو حتى إجرائية، أي تهتمّ بالدرس الهادف تخطيطا و تنفيذا ، تقويما و معالجة.

تأسست هذه المقاربة على مبادئ النظرية السلوكية القائمة على ثنائية مثير- استجابة، إذ تسعى المقاربة بالأهداف إلى قياس السلوك التعليمي و رصده ملاحظة و قياسا و تقويما.لذلك ركزت على صياغة الأهداف التربوية على شكل قدرات ومهارات سلوكية ترغب المدرسة في تحقيقها لدى المتعلّم. و بنيت على المبادئ التالية:

- الارتقاء بالعملية التعليمية ممكن عن طريق عقلنتها وتخليصها من كلّ أنواع العفوية والارتجالية

 تجزيء العمل المزمع تنفيذه إلى عناصر صغيرة تحدّد تحديدًا إجرائيًا يصف للأهداف والعناصر المكونة للإنجاز ومعايير التقويم وإصدار الأحكام.

- يقوم المعلم بصياغة أهداف الدرس بينما يطلب من المتعلّم أن يتلقى بطريقة آلية المعارف الّتي يمليها عليه المعلّم.

-مركزية المعلّم و المتعلّم هامشي.

رغم ذلك تمّ توجيه عديد الانتقادات لها منها نظرتها التجزيئية للمعرفة التي تجعل من المتعلّم آلة ، و اهتمامها بالأداءات الفردية أوّلا ثمّ بالفعل الجماعي، كما يعاب عليها أيضا اعتمادها على الوضعيات البعيدة التي جعلت فيها المعيار مقام المرجع.

 **ج- المقاربة بالكفايات**: تضمّنت الإصلاحات التربوية الّتي قامت بها الجزائر انطلاقًا من العام الدراسي: 2003-2004 مجموعة من التدابير الّتي أدخلت على المحتويات والأهداف وآليات التقويم بمقتضى الأمر الرئاسي رقم: 03-09 المؤرخ في 13 أوت 2003، المعدّل لأمرية 16 أفريل 1976 المتضمّن تنظيم التربية والتكوين، وقد تبنّت هذه المقاربة مدخلًا متطوّرًا من المداخل البيداغوجية حدّدت على أساسه الأهداف والطرائق التدريسية، فوضعت المتعلّم في مركز سيرورة التعلّم والتعليم، وسعت إلى تزويده بالمحتويات الوظيفية والعملية " من خلال إدماج يضمن تحقيق الأهداف العامة، كما تسعى إلى التنسيق بين مختلف المواد والمستويات في ضوء حاجيات المتعلّم، من أجل اكتسابه لكفاءات يستفيد منها في حياته الاجتماعية، ويطلبها سوق العمل"

 هي مقاربة تمّ فيها "الانتقال من منطق التعليم الّذي يركّز على المادة المعرفية إلى منطق التعلّم الّذي يركّز على المتعلّم، فصارت المعرفة في هذه المقاربة الوسيطة الّتي تضمن تحقيق الأهداف المتوخاة من التربية"،وتقوم على عملية إعداد وتخطيط المحتوى وفقًا للوضعيات الّتي يحتك بها المتعلّم وسيتعامل معها في حياته الاجتماعية، وذلك عن طريق ترجمة الكفاءات المكتسبة إلى كفايات أي إلى أداء وإنجاز لأنشطة التعلّم، ثمّ إلى سلوكات إجرائية تطبيقية قابلة للملاحظة والقياس، وبصيغة أخرى هي " منهاج للتعلّم والتعليم، يهدف إلى اكتساب المتعلّم معارف وقدرات ومهارات بشكل مرتبط بحياة المتعلّم الحاضرة والمستقبلية"

 ترتكز المقاربة بالكفايات على أنشطة المتعلّم وقدراته لتحقيق أهداف التعلّم، فجعلت منه مركز العملية التربوية، في حين قلّصت أدوار المعلّم من متحكّم في مراحل العملية التعليمية إلى مرشد وظيفته خلق مواقف تعليمية يستثمر فيها المتعلّم قدراته وكفاءات لحل مشكل تعليمية تعترضه.

 من السابق يتّضح أن المقاربة بالكفايات:

- مقاربة ذات توجّه مستقبلي استشرافي، يسعى لقيام مدرسة متجدّدة ومتكيّفة مع المستجدّات العملية، البيداغوجية، الاجتماعية والاقتصادية.

- مقاربة متكاملة تتيح تنظيمًا أحسن وأنفع لمركبات المناهج، وتتّسم بالتدرّج في مسارها العلمي والبيداغوجي.

- مقاربة شاملة مبنية على مناهج وأهداف شاملة لجميع جوانب المعرفة، وشخصية المتعلّم.

- توجّه جديد يسعى لأحداث تغيّر في النظرة إلى ما يجب أن يكون عليه المتعلّم وإلى علاقته بالمعرفة وبالمعلّم، حتى يكون نموذجًا لفرد مستقلّ وبنّاء.

خاتمة: كلّ المقاربات التعليمية التي بنت عليها المنظومة التربوية الجزائرية نظامها التعليمي لم تخرج عن نطاق أنها ترجمة للفكر التربوي و الفلسفي الذي ساد في تلك الحقبة الزمنية، غير أنّ الملاحظ أنّ كلّ مقاربة سابقة أسّست لميلاد مقاربة لاحقة حلّت محلّها و تلافت ما فيها من ثغرات و تجاوزت ما وقعت فيه من هنات و أخطاء.

قائمة المراجع:

- سهيلة محسن الفتلاوي: المدخل إلى التدريس، دار الشروق، عمان، الأردن، د ط، 2010.

- عمر علي دحلان: زاد المعلّم في التعليم والتعلّم، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط2، 2010.

-فريد حاجي: بيداغوجيا التدريس بالكفاءات -الأبعاد والمتطلّبات-، دار الخلدونية، الجزائر، دط، دت.

- كمال زيتون: التدريس -نماذجه ومهاراته-، عالم الكتب، القاهرة.

- ماهر إسماعيل صبري: مفاهيم مفتاحية في المناهج و طرق التدريس، مجلة دراسات عربية في التربية و علم النفس، المجلد3، ع 2، مارس 2009.

- محمـد الحاج خليل: دليل المعلّم الجديد والمعلّم المتجدّد، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2006.

-محمـد عبد الرحيم عدس: المعلّم الفاعل والتدريس الفعّال، دار الفكر، عمان، الأردن، 1996.

- نور الدين زمام: المقاربة بالكفاءات( النشأة والتطوّر )، مجلة دفاتر، 2012، ع10.

- وسيلة قرايرية: تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات لأهداف المناهج الجديدة في إطار الإصلاحات التربوية حسب معلّمي ومفتشي المرحلة الابتدائية –دراسة ميدانية بالمقاطعات التربوية بولاية قالمة، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة قسنطينة، 2009-2010.